

السنة النبوية ودورها التربوي في بناء الشخصية الإسلامية وأثرها على المؤسسات التعليمية / دراسة تأصيلية

م.د. پيشره و حمه علي عبدالله

المديرية العامة لتربية السليمانية

peshraw.shar@gmail.com

تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٠

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/٨

الملخص:

كان العرب قبل الإسلام يعيشون حياة ظالمة مظلمة، يغزو بعضهم بعضاً، ويستبيح بعضهم أموال بعض، يقتلون بناتهم مخافة العار، ويأكلون أموالهم بينهم بالباطل تارة بالربا الفاحش، وتارة بالإنكار، وتارة بالغصب، مع ما يملكونه من مروءة الفطرة، ونبل الأخلاق التي فطر الله الناس عليها؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سماتهم الشخصية التي تبلورت نتيجة ما عاشوه من ظلم في عصرهم وما توارثوه من سمات تربوية معقدة، ثم جاء الإسلام وهدى الناس إلى دين الحق بفضل من الله؛ فكان أول تحد واجهه النبي ﷺ بعد تمكين توحيد الله في قلوب أصحابه هو صقل الشخصية المسلمة، وإبدالها بسمات يحبها الله وهي الصفات التي فطرهم عليها، لذلك زخرت السنة النبوية المطهرة بكل أساليب التربية التي من شأنها صقل شخصية الصحابة لتناسب الإسلام العظيم فتشربوها، ثم فاضت منهم لتلاميذهم وأبنائهم حتى توارثوها جيلاً بعد جيل حتى تأسد الإسلام على المعمورة، وأصبح مطمح كل ذي فطرة سليمة، وما تعانیه الأمة الإسلامية اليوم من ضعف وانحلال ووهن ما هو إلا بابتعادها عن القيم النبوية النبيلة، وهذه الدراسة هي نقطة في بحر السنة العظيم، لتبين للقاصي والداني أن سيرته ﷺ وتوجيهاته وأفعاله هي الدواء الناجع للمرض العضال الذي تعانیه الأمة اليوم.

المقدمة ...

إن من نعم الله علينا، أن بعث فينا محمداً ﷺ هادياً وداعياً إلى الحق، وخصه بصفات لا يجاريه فيها أحد، ووصفه سبحانه بآية كريمة خالدة في القرآن بقوله: [وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ] (القلم:٤)، فيكفي هذه الأمة شرفاً أن يكون نبيها من صفوة الخلق ويكون هذا وصفه، فجسدت شخصيته ﷺ القرآن أكمل تجسيد؛ وسمت أخلاقه بالقرآن أرفع سمو؛ فكان كما جاء على لسان عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن)، إنه المربي الأول الذي جمع جوانب التربية كلها

بخلاف أى منهج تربوي وضعى ، ذلك أن أية نظرية تربوية لابد من أن يكون فيها جوانب قصور ومكان خلل مهما أحكمت ، فهي تركز على جانب وتغفل جوانب ، ثم تحاول إصلاح ما قد فاتها بعد فوات الأوان وهكذا ، الى أن تتهاوى وتتآكل القيم والمبادئ والروابط القويمة ، بعدها تبدأ رحلة إصلاح الجزئيات ، أما الكليات من المبادئ والقيم السليمة فتكون حينها صعبة المنال عصية التغيير .

وبما أن العملية التربوية الإيمانية تتصف بسمات عدة تميزها عن غيرها لتقف شامخة فوق طرق العمليات الحياتية جميعا ، وبما أن أكثر المرابين الذين لا يدركون هذه السمات والخصائص لابد يقعون في ذلة الهوى أو الاجتهاد الضعيف المهترئ القائم على قلة العلم والخبرة ، كان لا بد أن نلحظ أن النبي p علمنا وقبل أربعة عشر قرنا أدوات هذه العملية التربوية الإيمانية في مدرسة النبوة الرفيعة المقام ، وبينها أحسن بيان ، فكانت بنيانا رائعا ، ونموذجا متكاملًا لكل مرب ومعلم وداع إلى الخير والنور والهدى ، وما فتئ المربون الناصحون على هدي تلك السمات يربون الصالحين جيلا بعد جيل ، حتى أُلقت بنا خطوب بعيدة المشرب متعكرة النبع قد التمسست الفلاح بعيدا عن مدرسة النبوة ، فخرّجت لنا ما نراه من حالة منكسرة ، ونفسية منهزمة لكثير من أبناء هذا الجيل.

وبعد أن عرفنا الداء كان لا بد من حسن تحضير الدواء ، وبما أن الدواء موجود في كتاب الله وسنة نبيه p ؛ وقع الاختيار على ما تتضمنه السنة النبوية الشريفة من أنواع لا حصر لها من العلاجات لهذا الداء العضال ؛ فكانت هذه الدراسة أساسا يبني عليه المربون صرحهم التربوي الصحيح حتى يصبح بناء متين الأساس ، وأسميتها : (السنة النبوية ودورها التربوي في بناء الشخصية الإسلامية وأثرها على المؤسسات التعليمية / دراسة تأصيلية) .

أهمية الدراسة :

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في أنه من الواجب على كل من يتصدر للتربية والإرشاد في الأمة الإسلامية أن يعلم ولو بشكل عام أهمية السنة النبوية في صقل الشخصية المسلمة المؤمنة ، فحياة النبي p مع أصحابه طيلة فترة الدعوة كلها دروس وعبر تربوية ، وهي معين لا ينضب في كل مجالات التربية ناهيك عن أسلوبه p في نزع ما تعود عليه الناس في جاهليتهم من أساليب ، وسبل عيش ، وتربية للأبناء ، ومعاملة مع الناس ، الى أسلوب إيماني تربوي صحيح مكنهم من أن يصبحوا قادة للأمم هم وتلاميذهم لما بعد الدعوة لأكثر من ألف عام .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى التعريف بأهمية الدور التربوي للسنة النبوية في صقل شخصية المسلمين ، مع ما لها من دور على المؤسسات التعليمية في وقتنا الحاضر .

أسباب اختيار الموضوع :

لعل من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع هو ابتعاد التربويين المعاصرين عن الأخذ بما في السنة من أساليب تربوية واعتمادهم على نظريات يمكن أن تخطئ في كثير من أحوالها ، بينما أساليب السنة النبوية أثبتت صحتها

وجدارتها في الوصول الى مجتمع متمدن صحيح التربية ، وهذا ما أثبتته تاريخ ما يزيد عن ألف سنة من الحكم الإسلامي .

مشكلة الدراسة:

إن مشكلة الدراسة تتحدد في السؤالين التاليين :

١. هل بإمكان السنة النبوية المطهرة صقل الشخصية المسلمة كما يريد لها علماء تربية العصر؛ بل لربما أحسن من ذلك؟

٢. هل المؤسسات التعليمية الحديثة بحاجة الى الأساليب التربوية المحمدية لترتقي الى ما يصبو إليه التربويون؟

منهجية الدراسة :

اتبع الباحث المنهج التحليلي ، حيث أشار للأحاديث السنوية المرتبطة بالموضوع ، وقام بتحليلها ومحاولة ربط بعضها مع ما يراد بيانه من أهداف الموضوع .

هيكلية الدراسة :

بعد جمع المادة العلمية للدراسة ؛ وبعد مشاورة أهل العلم كان لا بد من وضع خطة لكتابة هذه الدراسة ، وكانت كما يأتي :

المقدمة : وفيها : أهمية الدراسة ، وأهداف الدراسة ، وأسباب اختيار الموضوع ، ومشكلة الدراسة ، ومنهجية الدراسة ، وأخيرا هيكلية الدراسة .

التمهيد : تعريف مفردات العنوان : (السنة ، التربية ، الشخصية).

المبحث الأول : دور السنة النبوية في حرية التفكير وإيجابيته وعدم تبعيته ، وهو على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحرية في التفكير .

المطلب الثاني : الإيجابية والتفاؤل .

المطلب الثالث : الثقة بالنفس وعدم التبعية .

المبحث الثاني : دور السنة النبوية على وسطية العبادة والتخلق بأحسن الآداب ، وهي على مطلبين :

المطلب الأول : وسطية العبادة .

المطلب الثاني : وجوب التخلق بأحسن الآداب .

المبحث الثالث : الأثر التربوي للسنة النبوية على المؤسسات التعليمية ، وهو على مطلبين :

المطلب الأول : الأثر التربوي للسنة النبوية للمربي (المعلم) والتلميذ (الطالب) .

المطلب الثاني : الأثر التربوي للسنة النبوية على المنهج الدراسي .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهید: تعریف مفردات العنوان: (السنة ، التربية ، الشخصية) :**السنة لغة :**

هي: (السيرة أو الطريقة حميدة كانت أو ذميمة ، والجمع سنن (الفیومی ، المصباح المنیر ، ١٤٢٥هـ ، ص ١٥٨) ، ووردت بهذا المعنى في القرآن الكريم بقوله تعالى (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَى) (سورة الكهف : ٥٥) ، وجاءت في الحديث النبوي الشريف بقوله p : (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ) (مسلم ، ١٠١٧) .

أما السنة في اصطلاح الأصوليين فهي : (عبارة عن كل ما صدر عن الرسول p من الأقوال والأفعال والتقارير (الأمدي ، ١٤١٨هـ ، ١٤٥/١٠ ، والشاطبي ، ١٤٢٥هـ ، ص ٧٢٦ ، والشوكاني ، ١٤٢٥هـ ، ص ٧٩) .

أو هي : (خبر يُسَبَّ إلى الرسول p قولاً وفعللاً أو تقريراً سكوتاً عند أمر يعاينه) (الطبيبي ، ١٣٩١هـ ، ص ٩) .

التربية :

لغة : بالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أنَّ كلمة (تربية) المشتقة من الجذر (رَبَا يَرْبُو) تحمل معان عديدة ولكن الذي يهمنا هنا أنها بمعنى التنشئة والرعاية : فالفعل (رَبَى يَرْبِي) على وزن خفى يخفي ، فتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية (الجوهري ، ١٤٠٧هـ — : ١٣١/١ ، وابن منظور ، ١٥٤٩/٣) ، نحو قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ اذْهَبْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (سورة الإسراء : ٢٤) ، ويقال : (رب ولده ، والصبي يربه ربا (رباه) ، أي : أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك ، أي : فارق الطفولة ، كان ابنه أو لم يكن) (الزبيدي ، ١٤٠٧هـ : ٤٦٤/٢) .

اصطلاحاً: (هي : وسيلة إعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد ، وتكوينه عقلياً وحُلقياً ، وجعله قادراً على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته وتمكّنه من كسب عيشه) (الزنتاني ، ١٩٩٣م ، ص ٢٤) .

الشخصية :

لغة : الشخص : (سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد ، تقول : ثلاثة أشخاص ، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه ، فالشخص : كل جسم له ارتفاع وظهور) (ابن منظور : ٤٥/٧) .

اصطلاحاً: هي : (النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره) (فرغل ، ص ٧) .

المبحث الأول : دور السنة النبوية في حرية التفكير وإيجابيته وعدم تبعيته :**المطلب الأول : الحرية في التفكير :**

عندما أعلن النبي p أنه رسول من عند الله تعالى الى الناس بدأ كثير من الناس يتساءلون عن ماهية هذا الدين ولم يسألوا عن ماهية النبي p لأنهم يعرفونه بصفاته التي جعلتهم يلقبونه بالصادق الأمين ، فاختلفت الصدور بأسئلة كثيرة

وكان الرسول ρ يتقبلها بصدر رحب ؛ ليس بسبب أنه يدعو الى الإسلام فقط بل لأن حرية التفكير واجبة في الإسلام ، فلا إسلام من غير فناة تامة بيقين ، وهذا لا يأتي إلا عن طريق تفكير حر قلب مسألة الإيمان بهذا الدين من كل وجوها ، كذلك لم يقيد النبي ρ تفكير المؤمنين بعد إسلامهم ؛ بل ترك عقولهم تسبح في التفكير في ملكوت هذا الدين ويسبروا غور بحر هذه الشريعة ، فيسألوا عما شاءوا إلا من أسئلة نهى الله عنها بقوله سبحانه : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ] (المائدة: ١٠١) وقد شكى الصحابة رضي الله عنهم الى رسول الله ρ أنهم يجدون في أنفسهم أسئلة وتأبى نفوسهم التصريح بهذه التساؤلات ، فأخبرهم ρ أنه هذه التساؤلات من صريح الإيمان (مسلم ، ١٣٢) ، بل نبه ρ الى أن الناس سيتمادون في السؤال حتى أن الشيطان ليوسوس الى أحدهم فيقول له : من خلق الله ؟ ؛ فأمر ρ من يجد ذلك أن يقول : آمنت بالله (مسلم ، ١٣٤) ، ومما جاء في معنى الأحاديث قول النووي : (إن الشيطان إنما يوسوس لمن آيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه ، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أراد) (النوي ، ١٤٢٦هـ ، ص ١٥٤) ، ولم يقيد النبي ρ حرية الفكر عند أصحابه ولا منعهم من مثل هذا التفكير ، بل أرشدهم الى أن ذلك من الشيطان ، وأمرهم بالتعود من وسوسة الشيطان والكف عن الانصياع لمثل هذه التساؤلات ، وكان هذا بأسلوب لطيف من غير تنفير (مسلم ، ١٣٤٣) ، وهذا اللين في الإجابة مع التأكيد على الإفهام وشدة الوضوح من أهم ما كان يميز المنهج النبوي في التربية ، فهو لم يتهرب من الإجابة ؛ ولم يقل ما ليس مفهوما ؛ أو ما ليس واضحا ، بل كان جوابه قاطعا لكل شك في أن ما يجده الصحابة في وقتهم ربما هو أقل ما يمكن أن يتساءل عنه الناس بعد ذلك في قرون وعصور أخرى ، ويعد هذا من أهم ما يبرز ما كان يريده ρ في بنائه لشخصية الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - .

وكان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يسألون رسول الله ρ عن كل شيء من أمر الدنيا والدين ، والآخرة ، وقصص الأولين ، والنبي ρ كان يجيبهم عن أي شيء يسألونه بل ويزيدهم فيقص عليهم ما يعلمه من أمور الآخرة وأحوالها ، وما أعد الله للكافرين فيها ، ويبشرهم بنعيم الجنة وما فيها ، كذلك لم يكن الحياء ليمنع الصحابة عن السؤال عن أمور لا تطرق إلا على استحياء (البخاري ، ٦٠٩١) ، بل إن النساء في عصر النبي لم يكن الحياء ليمنعهن من التفقه في الدين وتعلم الشريعة للالتزام بما تأمر به (البخاري ، ٣٠٧) ، فهذه الأمور وأشباهاها مما يستحي أن يسأل عنه الإنسان ؛ في حين أنها لا بد منها لمعرفة إجابات تخفى على السائلين ولا يعلمها إلا النبي ρ ؛ كل ذلك في سبيل التفقه في الدين ، فتنشأ حينئذ شخصية متميزة تعلم حدود الشرع من جهة ؛ وتربي تلاميذها على هذا المنهج من جهة أخرى ، وفي إطار آخر فإنه لا يخفى أن واجب كل مرب أن يحرك تلاميذه وطلابه إن رأى منهم كسلا أو ضعفا أو أراد أن يستثير عقولهم ، وهذا المنهج التربوي المعروف هو منهج نبوي (البخاري ، ٦٢) ، ويمكن استخلاص جملة من الفوائد من هذا المنهج منها:

١. امتحان العالم أذهان طلبته بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه .

٢. وفيه استخبات الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة .

٣. وفيه التحريض على الفهم في العلم .

٤. وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الأفهام .

٥. وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة .

٦. وفيه أنَّ العالمَ الكبيرَ قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يُدْرِكُهُ مَنْ هُوَ دُونَهُ لِأَنَّ الْعِلْمَ مَوَاهِبٌ وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ

(ابن حجر ، ١٣٧٩هـ: ١٤٧/١) .

مما تقدم يتبين أن المنهج النبوي فتح المجال واسعا أمام الحرية في التفكير ، وحدد السؤال عما يدور في الخلد والخطر من مسائل ، فمنع بعض المسائل ، كما أن الإجابة كانت تُرجى من أفضل مرِب عرفته البشرية رسولنا محمد P ، حتى تشبع غريزة التعلم وحب الاستطلاع عند تلاميذه رضي الله عنهم ، فتتبلور عندهم الشخصية الفراد بنائها وصقلها من قبل مربيهم P.

المطلب الثاني : الإيجابية والتفاؤل :

تعد الإيجابية والتفاؤل من أهم اهتمامات السنة النبوية في بناء شخصية المسلم ؛ حيث تنأى به عن الكسل وعدم القيام بالواجبات تحت أي دعوى مريضة ، لذلك نرى رسول الله P يتعوذ من العجز والكسل (مسلم ، ٢٧٢٢) .

الإيجابية :

ومن الإيجابية أن لا ينزوي المسلم ولا يعتزل ، بل من الواجب عليه أن يكون له حضور دائم في مجتمعه ، فيعود المريض ، ويصلح بين الناس ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ، وأن يقوم بواجب الدعوة الى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعلى المسلم أن يشعر بما يشعر به المسلم من مرض أو ضعف أو وهن ، والواجب عليه أن يرفع هذا الحمل عن كاهل أخيه المسلم (البخاري ، ٤٨٢) ، وكان P يؤكد على ذلك فجعل من خصال الإيمان أن يحب الخير لأخيه المسلم كما يحب لنفسه (البخاري ، ١٣) ، وهذا الحث النبوي على وحدة مجتمع الإسلام إنما هو لبناء شخصية إيجابية تهتم بأمر جميع المسلمين في كل أقطار الدنيا أينما كانوا ، كما كان P يحث على أن يكون المسلم قويا ولا يستسلم للضعف والانكسار والفتور ، (مسلم ، ٢٦٦٤) ، وبهذه الأصول التربوية يتم تنمية الخصال الفردية ثم تُصقل بجمعها فتنشأ عنها شخصية قوية تستند في كل أمورها الى المنهج التربوي النبوي .

التفاؤل:

ومن جملة ما تؤكد السنة في منهجها التربوي الحث على التفاؤل وترك التشاؤم والطيرة وما شاكل ذلك من الاستقسام بالأزلام أو الاستعانة بالمشعوذين والعرافين ، ولا يكون ذلك إلا بالنظر الى نعم الله على أنها مقسومة من رب العباد وكلّ قَدَّرَ عليه رزقه ، فهناك من فضّلوا بالرزق وهناك من هم دونهم وهكذا وكلها من نعم الله (مسلم ، ٢٩٦٣) ، وهذا الأصل في تنمية الشخصية (دواء الداء لأنَّ الشَّخْصَ إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يُؤَثَّرَ ذَلِكَ فِيهِ حَسَدًا ، وَدَوَاؤُهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى الشُّكْرِ) (ابن حجر ، ٣٢٣/١١) ، وبينت السنة أن الواجب على المسلم أن لا يخاف من الموت وأن لا يتمناه ؛ وهذا جمع رائع بين شيئين فالذي يخاف الموت لا يتمناه ، فكيف بمن لا يخاف الموت ولا يتمناه ، وهذا ما أرادت السنة تشبيته في قلوب المؤمنين (البخاري ، ٥٦٧١) ، ومن هذا يُفهم أن الواجب

على المسلم الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى (ابن حجر ، ٢٢١/١٣) ، ونهت السنة عن التشاؤم والطيرة والتنجيم وما شكل لمعرفة ما أخفاه الله عن خلقه ، بل أمرت السنة النبوية بالكلمة الطيبة التي تطيب قلب المهموم وترفع عنه شواغل القلب وما يخالج النفس من الخوف من الأمور الصعبة (مسلم ، ٢٢٢٤٣) ، وأمرت السنة النبوية باتخاذ الأسباب ؛ وأكدت على أن اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل (البخاري ، ٥٧٢٨) ، والذي أرادت السنة إبرازه في هذا المقام هو أن التفاؤل المحمود هو ذلك التفاؤل المبني على المنهج التربوي الوارد في ما تقدم ، وليس اتباعا لكلام مسجوع أو توقعات مبنية على الدجل والشعوذة ، بل أكد المنهج التربوي النبوي على التوكل على الله مع اليقين أن الله يقدر الأمور وكل ما يقع منها على الإنسان فهو خير له إما في دنياه ، أو في آخرته .

المطلب الثالث : الثقة بالنفس وعدم التبعية :

إن طبيعة الشخص لا يعرفها أحد من خلق الله كما يعرفها صاحبها ، وكلما عرف الإنسان مقدار كفاءته في الأمور عرف مقدار نجاحه فيها ، والمرشد الذي يستحق مرتبة الإرشاد هو الذي يعرف أغلب طبائع ومكونات أنفس تلاميذه فيوجههم لما فيه صلاحهم ، وهو يشجعهم ويحفزهم من خلال تعامله معهم ليظهر أفضل ما عندهم ، وكلما قوي ارتباط التلاميذ بمرشدهم وازدادوا له حبا وطاعة ؛ كلما أفرز منهجه في تربيتهم في المستقبل رجالا : قادة ودعاة ، وهكذا كان الصحابة مع سيدنا رسول الله ﷺ فقد عرف مكوناتهم وطبائعهم وعرف أين تكون كفاءتهم (الترمذي ، ٣٧١٩ ، حسن غريب) ، وأثبتت الحوادث والصعوبات التي تعرضت لها الأمة بعد وفاته ﷺ أن أصحابه رضي الله عنهم كفاء لمعالجة كل ما واجهوه ، وهذا أرقى ما يمكن أن يشار إليه في نجاح أي منهج تربوي ، فبناء شخصياتهم وصقلها لم يتم عند أي مرب ؛ إنه كان تحت أفضل مرب عرفته الإنسانية ﷺ ، فمنهجه رباني لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، كما حثت السنة على الثقة بالنفس فلا يكون الإنسان إمعة (الترمذي ، ٢٠٠٧ ، حسن غريب) ، وتعد هذه من أعلى درجات الثقة بالنفس التي يمكن أن يتحلى بها إنسان ، كما أكدت السنة في منهجها التربوي على إذكاء روح التنافس في الخير ، وتحري أبواب كل ما تحث عليه مبادئ الشريعة (البخاري ، ١٨٧٩) ، لذلك كان أصحاب النبي ﷺ أقوياء من غير ظلم ولا طغيان ، متواضعون من غير ضعف ولا وهن ، أعزاء بدينهم ولا يستكينون للشيطان وجنوده ، وكانت همتهم عالية ، وقد أثبتت المواقف ذلك ، وسمت أنفسهم عن كثير من سفاسف الأمور وتعالى حتى باتوا يرون كبيرها هينا لأنه في سبيل الله ؟ هكذا رباهم رسول الله ﷺ وصقل شخصياتهم فكانوا بحق أحسن قادة وأشرف حكام وأنزله قضاة لأنهم تربوا على منهج النبوة ، فواجب السنة النبوية أن تجعل من المؤمن عزيز النفس لقول الله عز وجل [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ] (المنافقون : ٨) ، وهذا ما كانت تؤكد عليه السنة النبوية المطهرة (البخاري ، ١٤٧١) ، وتشبعت نفوس الصحابة بهذا المنهج حتى زهدوا مما في أيدي الناس ، وكان رضوان الله تعالى نصب أعينهم ومبتغاهم حتى أنهم كانوا لا يسألون الناس أن يعينوهم بشيء ، ولو وقع سوط أحدهم كان ينزل بنفسه فيتناوله بيده ولا يسأل الناس أن يناولوه إياه ، بعد أن علموا كراهة مسألة الناس (مسلم ، ١٠٤٣) ، فكان الهدي النبوي قائدهم في العفاف قبل كل شيء ؛ وكانت شخصيتهم هادئة راضية بقضاء الله وقدره ، كذلك روي عن حكيم بن حزام قال : (سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى) (البخاري ، ١٤٧٢) ، هذا

الفهم من النبي p لطبيعة النفس البشرية وخصوصا طبائع أصحابه بتوفيق من الله سبحانه أعانه في إخراج أعظم قادة عرفهم التاريخ ، فلم تكن كفاءة الصحابة في كل أمورهم إلا نتيجة المنهج التربوي الصحيح لسيد المرسلين محمدا المصطفى p .

المبحث الثاني : أثر السنة النبوية على وسطية العبادة والتخلق بأحسن الآداب :

المطلب الأول : أثر السنة على وسطية العبادة :

إن الواجب الأول للإنسان هو عبادة الله حق عبادته ، وبما أن العبادة أنواع كالصلاة والصوم والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ فإن السنة المطهرة بعد أن بينت كثيرا من تفصيلات العبادات أمرت بالتوسط في العبادة لأن الله لا يمل ولا يقبل من الأعمال إلا أدومها وإن قلت (البخاري ، ٥٨٦١) ، كما حثت السنة المطهرة على اختيار الأوقات المناسبة للدعوة الى الله - وهذا ما يجب أن يفهمه الدعاة فهما صحيحا- فاختيار الأوقات المناسبة للموعظة مع عدم التطويل يجعلها مقبولة عند الناس ؛ بعكس إذا كانت في غير أوقاتها أو تكررت أكثر من مرة ، أو كانت طويلة يمل سامعها (البخاري ، ٧٠) ، وكان النبي p يختار أنسب الأوقات وأحسنها فيعظ الصحابة الكرام (البخاري ، ٦٨) ، من هذا يتبين أن المُوَاطِئَةَ مَطْلُوبَةٌ لِكِنَّهَا عَلَى قِسْمَيْنِ : إِمَّا كُلُّ يَوْمٍ مَعَ عَدَمِ التَّكْلُفِ ، وَإِمَّا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، فَيَكُونُ يَوْمُ التَّرْكِ لِأَجْلِ الرَّاحَةِ لِيُقْبَلَ عَلَى الثَّانِي بِنَشَاطٍ ، وَإِمَّا يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ ، وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ ، وَالصَّابِغُ الْحَاجَةُ مَعَ مُرَاعَاةِ وُجُودِ النَّشَاطِ (ابن حجر ، ١٦٣/١) ، وهنا لفتة لطيفة لا بد من إيضاها ؛ وهي أنه يجب أن تكون شخصية الداعية قوية كريمة قدوة في العلم والعمل ، كما بينها النبي p في منهجه التربوي ، لأنه كلما كانت شخصية الداعية قريبة من الهدى النبوي كلما كان قادرا على التحكم بانفعالاته وتوجيه أحاسيسه وتوظيف كل ما يراه في سبيل الدعوة ، وهو نفس ما يجب على المرشد أو المربي أو المعلم ، فتأثر شخصية هؤلاء بالسمة النبوي أثمر في أن يكون العمل متميزا وناجحا ، كذلك أكدت السنة على التوسط في العبادة المأمور بها ، فنجد في السنة عدم التطويل في القراءة للإمام (البخاري ، ٩٠) ، فهذا فعل مكروه في السنة مكروه عند العلماء ؛ بل وصل الأمر بالنبي p أن يشبهه بالفننة (البخاري ، ٧٠١) ، كذلك فإن أي مبالغة وزيادة عن الحد في أي عبادة قد تفضي الى ترك العمل كما فعل هذا الرجل الذي ترك الصلاة ، ولو نظرنا الى قول النبي p لمعاد لرأينا فيه شدة ولهجة حادة ، وهو نوع من أنواع التربية التي يجب مراعاتها حين يأخذ المرشد بيد تلميذه حتى يوصله الى ما يريد من حسن الأدب والتزام ما يأمر به الشرع أو ينهى عنه ، والتوسط واجب في كل العبادات ففي باب الصوم مثلا لا يجوز للمسلم أن يصوم أياما متتابعة إلا في رمضان ، والثلاثة أيام البيض وبعض الكفارات ، وقيام الليل كذلك فيستحب النوم والقيام (البخاري ، ٣٤٢٠) ، وهذا توسط واضح في العبادة ، كذلك أمرت السنة بمراعاة ظروف الإنسان وما يحيط به حيث لم تأمر بمصلحة تنتج مفسدة أعظم منها وفي ذلك يقول النبي p لعائشة رضي الله عنها : (يَا عَائِشَةُ ، لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ - لَنَقَضْتُ الْكُعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ) (البخاري ، ١٢٦) ، أي أنه p دفع مفسدة أعظم من جلب هذه المصلحة ، وهذا درس للأمة فدفع المفاصد أفضل من استجلاب المصالح .

ومما يدل على وسطية العبادة أن يختار المرشد من تلاميذه من يفضي إليه بعلم معين دون آخرين لأسباب عديدة ؛ وهو من فعل النبي p (البخاري ، ١٢٨) ، وعلى المربي أن يتبع أسلوب الثواب والعقاب في توجيهه ، لأن هذا بدوره ينتج شخصية قوية ملتزمة منتهية عند النواهي ، مقبلة على المأمورات .

المطلب الثاني : وجوب التخلق بأحسن الآداب :

عندما وصف الله تعالى نبيه p بأنه على خلق عظيم في قوله : [وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ] (سورة : ن : ٤) ، كان لابد للصحابة رضي الله عنهم - ورسول الله p قدوتهم أن يأخذوا من سفته وأدبه شيئا كثيرا ، والسنة النبوية مليئة بما يحظ على الأدب وحسن الخلق منها ما رواه ابن عمر r قال : (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه) (البخاري ، ٦٢٦٩) ، أي أن يعرف الرجل حدود الأدب في الجلوس في بيوت الناس ، وعدم التعدي على أبسط حق من حقوقهم وهو أحب المجالس إليهم ، فكيف بما هو فوق ذلك ؟ كما أكدت السنة النبوية على محاسبة النفس على تقصيرها ولومها على اعوجاجها وتقصيرها وتعويدها على تقبل النصيحة (الترمذي ، ٢٤٠٦ ، حديث حسن) ، وهذا والله بلاغ عظيم وهو واجب لا بد أن يطاع على كل من سمعه ؛ فكل الناس خطأون ومفردون في حق الله تعالى وحق عباده ؛ وأفضلهم من أمسك لسانه عن سوء وتذكر خطاياهم فندم عليها واستغفر ربه وأناب إليه ، وهذا هو المطلوب في شخصية الإنسان أن يعرف قدر نفسه فلا يجاوزها الى ما لا تستطيع فيقع في المحذور ، كما أكدت السنة على احترام الإنسان حتى لو كان على غير دين الإسلام ، لأن الإنسان أخ الإنسان وجاره في هذه الدنيا ؛ وحسن الخلق من أفضل ما يأمر به المنهج التربوي النبوي (البخاري ، ١٣١٢) ، والآثار الواضحة التي تدل على تأثير علماء الإسلام بالمنهج النبوي ، وتأثير هذا على طلابهم وتلاميذهم كثيرة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام .

المبحث الثالث : الأثر التربوي للسنة النبوية على المؤسسات التعليمية :

التعلم والتعليم واجب على كل مسلم ، ولولا التزام المسلمين بهذا الواجب المقدس لما وصل إلينا من هذه الشريعة شيء ، وقد حثت السنة المطهرة عليهما باعتبارهما ركنان أساسيان لعملية التعليم المقدسة ، وكما هو معروف فإن أي مؤسسة تعليمية لا تقوم إلا على ثلاثة أسس : أولها : المربي (المعلم) ، وثانيها : التلميذ (الطالب) ، وثالثها : المنهج الدراسي ، وعلى هذا الأساس سينقسم هذا المبحث إلى مطلبين يبحث الأول : الأثر التربوي على المعلم والمتعلم ، ويبحث الثاني : الأثر التربوي على المنهج الدراسي .

المطلب الأول : الأثر التربوي للسنة النبوية على المربي (المعلم) ، والتلميذ (الطالب) :

المربي (المعلم) :

إن العلم له أربعة أحوال : (حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل ، وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال ، فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فإنه كالشمس

تضییء لغیرها وهي مضيئة في نفسها ، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب)(الغزالي ، ٥٥/١) ، وآثار الإنسان وأعماله تنقطع عند موته إلا ثلاثة بينها رسول الله ﷺ (مسلم ، ١٦٣١) ، وفضل العلماء معروف وجهدهم مشكور في كل حال ، ووصفهم رسول الله ﷺ بأنهم ورثة الأنبياء (البخاري ، ١٠) ، وفضل رسول الله ﷺ العلماء على باقي المسلمين (الترمذي ، ٢٦٨٥) ، حديث صحيح حسن غريب) ، والسنة النبوية تدعو بمجملها الى تبیین الأثر الطيب المترتب على التعليم ، لأن المعلم السني هو الذي يطبق المنهج التربوي النبوي الذي تنصلق به شخصية التلاميذ ، وعد العلماء وظائف كثيرة واجبة على المعلم أو المرشد يمكن تلخيص أبرزها فيما يأتي :

١. الشفقة على المتعلمين وأن يجربهم مجرى بنیه ، امتثالاً لأمر النبي ﷺ بأنه لا بد أن يكون المعلم والدا لتلاميذه(ابن ماجه ، ٣١٣ ، حسن صحيح) ، وعليه أن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وهذه السمة يجب أن تكون ثابتة في المعلم أولاً: لأنها منهج تربوي نبوي ، وثانياً : لأنه لا يستطيع أن يقترب منهم نفسياً وعقلياً إلا إذا كان لهم أبا ، فالأب يفهم بنیه ولو عند الكبر .

٢. أن يقتدي بصاحب الشرع ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً : بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها (الغزالي ، ٥٦/١) .

٣. أن لا يدع من نُصح المتعلم شيئاً : وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن ، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده(الغزالي ، ٥٦/١) ، وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق : بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار (الغزالي ، ٥٧/١) .

٤. إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه : كمعلم اللغة إذ عاداته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عاداته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ؛ فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلاً بعلم فينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة (الغزالي ، ٥٧/١) .

٥. أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه : فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله ؛ وليبت إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها (الغزالي ، ٥٧/١) .

٦. أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعلة : لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج (الغزالي ، ٥٨/١) .

٧. ان لا يخوض في فن ، حتى يستوفي الفن الذي قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا ، و بعضها طريق إلى بعض (الجشعمي ، ص ٦٤) .

فهذه بعض وظائف المعلم التي يجب أن يعلمها ويطبقها حتى يستطيع أن يرتقي بشخصية تلاميذه بناء على اتباعه للمنهج التربوي النبوي .

التلميذ (المتعلم) :

إن أشرف ما يشغل الإنسان به وقته وعمره : تعلم العلم ، وهذا ما أكدته السنة النبوية المطهرة ، حيث أن بناء السمات الأولى للشخصية لأي مسلم تكون عبر جلوسه عند معلم يتعلم العلم على يديه ، ويهذب له أخلاقه ، وينصح له في كل صغيرة وكبيرة تواجهه ، وطريق العلم ممدوح دائما (الترمذي ، ٢٦٤٦ ، صحيح) ، والنبي ﷺ يحث على سلوك طريق العلم ويوصي سالقيه أن يشمروا عن سواعد الجد ، كما أكدت السنة على أن العلم منة الله على خلقه فيه الخير الكثير(البخاري ، ٧١) ، وينبغي لطالب العلم أن يتحلى بعدة خصال حتى يستقيم له السير في طريق العلم ، ويمكن إجمال هذه الخصال بما يأتي :

١. تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس لأوصاف.

٢. أن يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ... ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ؛ ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ؛ فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر (الغزالي ، ٥٠/١) .

٣. أن لا يتكبر على العلم ، ولا يتأمر على معلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته(الغزالي ، ٥٠/١) .

٤. أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه(الغزالي ، ٥١/١) .

٥. أن لا یدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وینظر فیها نظرا یطلع به علی مقصده وغایته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فیه ، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقیة فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض (الغزالی ، ٥١/١) .
٦. أن لا یخوض فی فن من فنون العلم دفعة بل یراعی الترتیب ویبندی بالأهم فإن العمر إذا كان لا یتسع لجميع العلوم غالبا ، فالحزم أن یأخذ من كل شيء أحسنه ویكتفي منه بشمه ، ویصرف جمام قوته فی المیسور من علمه إلى استكمال العلم الذی هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة (الغزالی ، ٥٢/١) .
٧. أن لا یخوض فی فن حتی یرتوی الفن الذی قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتیباً ضرورياً وبعضها طریق إلى بعض ، والموفق من راعی ذلك الترتیب والتدریج (الغزالی ، ٥٢/١) .
٨. أن یعرف السبب الذی به یدرك أشرف العلوم وأن ذلك یراد به شیئان ، أحدهما : شرف الثمرة ، والثانی : وثاقه الدلیل وقوته ، وذلك كعلم الدین ، وعلم الطب فإن ثمره أحدهما الحیاة الأبديّة وثمره الآخر الحیاة الفانیة فیكون علم الدین أشرف (الغزالی ، ٥٣/١) .
٩. أن یراد بقصد المتعلم فی الحال تحلیّة باطنه وتجمیله بالفضیلة وفی المآل القرب من الله سبحانه والترقی إلى جوار الملائكة والمقربین ، ولا یقصد به الریاسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران (الغزالی ، ٥٣/١) .
١٠. أن یعلم نسبة العلوم إلى المقصد کیما یؤثر الرفیع القرب علی البعید ، والمهم علی غیره ، ومعنی المهم : ما یهمك ، ولا یهمك إلا شأنك فی الدنیا والآخرة ، وإذا لم یمكنك الجمع بین ملاذ الدنیا ونعم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما یجری مجرى العیان ، فالأهم ما یرقی أبد الآباد ، وعند ذلك تصیر الدنیا منزلاً والبدن مرکباً والأعمال سعياً إلى المقصد ، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالی ففیه النعم کلها (الغزالی ، ٥٣/١) .
- ومما تقدم یتبین أن سالك طریق العلم علی المنهج التربوی النبوی له سمة شخصیة واضحة إذا ما التزم بهذا المنهج التزاماً صحیحاً ، لأن السمات شخصیة لا تنقل ولا تتبلور إلا فی سنین طويلة ؛ مع أن بعضها یأتي من البیت ومن التریبة الأبویة ومن المجتمع إلا أنها لا تنقل وتهذب إلا عن طریق مرشد یعلم ما یفعل وفق منهج تربوی صحیح ، وهذا یحتاج إلى سنین طويلة ، ومتابعة صحیحة عن المعلم .

المطلب الثانی : الأثر التربوی للسنة النبویة علی المنهج الدراسي :

اتصف المنهج التربوی النبوی بصفات عدة ؛ أدى تطبیقها بمجموعها إلى نجاح هذا المنهج علی كل الأصعدة ، وفیما یأتي تفصیل هذه الصفات :

أولاً : العقائدية : وهي الأساس الأول الذی ینبني علیه المنهج التربوی النبوی ، وكل باحث یفتش عن سبب تقهقر الأمة الإسلامیة یجد أنه ضعف الإیمان ، أما من یبحث عن سبب كل نقص ألمّ بالأمة یجد أنه الإیمان نفسه ، حیث ابتلیت الأمة بالذین یهملون الإیمان ولا یتتبعون انسالخه من قلوبهم ؛ كما ابتلیت بالذین ینشغلون بدنیاهم عن ضعف

الإيمان في قلوبهم ، وحين يصيب ضعف الإيمان وتخلخل العقيدة قلوب المرشدين والمعلمين يكون المصاب جلا والجراح مميتة؛ لأنه يجب أن تستقر العقيدة الصحيحة في قلوب المرين حتى يستطيعوا أن يقنعوا الناس بها علماً وعملاً وتطبيقاً لا مجرد أقوال قالها العلماء وسطروها في كتبهم وحفظها المعلم فهو يرددها من غير تخلق بها ، إن مصطلح العقيدة يراد به ما يعتقد القلب من الإيمان بروبية الله وأسمائه وصفاته وتوحيده بالعبادة والطلب والقصد ، والبراءة من كل ما يُعبد من دون الله ، كما يشمل أيضاً الإيمان بالملائكة والكتب المنزل والرسول واليوم الآخر والجزاء والحساب والجنة والنار والقدر خيره وشره ، فهذا المصطلح إذن يحيط بكل نواحي الحياة ؛ بل يرسم الخط الواضح لكل سلوك للمؤمن في حياته وحتى مماته ، ولم تكن دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام جميعاً - لتغادر هذا المحور أبداً ، والمربي يجب عليه أن يغرس العقيدة الصحيحة في قلوب تلاميذه ويبين لهم ولا يتركهم نهبا لأهواء وأفكار قد تضعف الإيمان في قلوبهم أو تبعد بهم عن الطريق الصحيح للعقيدة السليمة ، والعقيدة هي أهم مرتكز في المنهج التربوي النبوي لأنها يجب أن تثبت صحيحة في القلب ، فصالحها يؤدي الى صلاح كل الأعمال بعدها ، وفسادها يعني فساد كل شيء ، وكان النبي ρ حريص على تثبيت العقيدة في قلوب أصحابه وتصفيتهما وتوجيههم لإخلاص الأعمال وتهذيب نفوسهم وتنقيتها من كل ما يشوبها من رين (مسلم ، ٨) ، فإجابة النبي ρ لأي سائل في أمور الدين والدنيا ما هي إلا منهج تعليمي يسمعه الصحابة فيتخذه منهجا لهم التزاما بما يقوله لهم النبي ρ .

ثانيا : الأخلاقية : حرص النبي ρ ومن خلال منهجه التربوي على تعليم صحابته حسن الخلق وطيب المعاملة ، فلا يجوز أن يكون المسلم بذيء اللسان سيء الطباع صعب العريكة مجادلا كاذبا أفاقا ، بل عليه أن يكون كما يريد النبي ρ لينا مبشرا مبتسما وقورا (أبو داود ، ٤٨٠٠ ، إسناده حسن) ، فالخلق الحسن هو القيد الذي يقيد السلوك عن الانحراف والجنوح والشطط ، ومن لا خلق له لا أصحاب له ولا إخوة ، بل ينفذ الناس من حوله ويغضه أقرب الناس إليه ، وعديم الأخلاق تسيطر عليه نفسه فتدفعه إلى هواها فيقع في المحذور، ومن كان سيء الخلق لا يبدو عليه العلم مهما تعلم ، لذلك كان النبي ρ يأمر بحسن الخلق وكان ρ أحسن الناس أخلاقا (البخاري ، ٣٥٥٩) ، حتى إنه ρ أثنى أبلغ ثناء على ذوي الأخلاق الحسنة وأخبر بأنهم أقرب منه مجلسا يوم القيامة (الترمذي ، ٢٠١٨ ، حسن غريب من هذا الوجه) ، وتوضيح النبي ρ لهذه السمة وإبرازها ما هو إلا لأن حسن الخلق يبلغ بالعبد الدرجات العلا والمقامات السامية كما أكدت السنة النبوية على الفضيلة لأنها الصفة الجامعة للخصائص التي يتميز به الإنسان في الفكر والسلوك ؛ مما يجعل الأخلاق جوهر العملية التربوية النبوية ، ويجب تقديم الأخلاق في كل شيء ؛ في القول والعمل ، في البيت والشارع ، في المصنع والمتجر ، في السياسة والمعاملات ، فهي أخلاق تنبعث من عقيدة المسلم ومبادئه السامية وما تربى عليه في بيته وما يطالبه به دينه ومجتمعه ، (أبو داود ، ٤٧٩٨ ، صحيح لغيره) ، ووصفته أمنا عائشة بأن خلقه هو القرآن (أحمد ، ٢٥٨١٣ ، صحيح) ، وياله من وصف عظيم ؛ فيه تكامل لجميع المبادئ الأخلاقية الصالحة للحياة الإنسانية في كل الميادين ، فالأخلاق تدعو إلى احترام العقود ، وأداء الأمانات والنزاهة والصدق ، وتنهى عن الاستغلال والمماطلة والغش والكذب والخداع والخيانة ، وكل ما يفتك بالكيان الاجتماعي ويقطع أوصاله ، كما تدعو إلى احترام العهود والمواثيق ،

وإلى العدل والعمل من أجل رفع مستوى الأمة ، وتنتهي عن الغدر والمفاجأة بالعدوان والتسلط والتجبر وغيرها من الصفات القبيحة ، وهذا التركيز من النبي ρ على خصلة حسن الخلق لم تكن عبثية بل هي محور المنهج التربوي النبوي ؛ والتي من خلالها يتم صقل شخصية الإنسان والسمو والرفعة به الى عالم الرقي الإنساني المبتغى .

ثالثا : العلمية : إن الحاجة إلى العلم لا تقل عن الحاجة إلى الطعام والشراب والكساء والدواء ، فإن القلوب لا تحيا بغير علم ؛ كما أن الأجساد لا تحيا بغير زاد ، والعلم الشرعي هو هدي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن تركه فقد ترك هديهم ، وقد أمرت الشريعة الإسلامية ومنذ أيامها الأولى بوجود التعلم ، فكلمة اقرأ التي قرأها جبريل ν على رسول الله ρ في أول آية أنزلت عليه تدعو الى التعلم ، بل أوجب الله على المؤمنين أنه لا بد أن تنفر من كل فرقة منهم جماعة يتعلموا العلم فيعلموه لباقي الناس ، وليكونوا مصابيح هدى يسير الناس على خطى شعاع نورهم ، وبلغ السمو بشريعتنا أنها لا تأمر بتعلم علومها فقط بل تأمر بتعلم باقي العلوم النافعة لبني البشر ، حيث ورد عن زيد بن ثابت τ أنه قال : (أمرني رسول الله ρ أن أتعلم السريانية) (الترمذي ، ٢٧١٥ ، حسن صحيح) ، وأكدت السنة النبوية المطهرة على أنه لا بد من تأسيس العلم بالحجة والبيان ، واستخدام العقل والقياس (البخاري ، ٥٣٠٥) ، وهذا دليل على استعمال القياس على ما يفهمه المتلقي في مسألته حتى يستقر عنده الجواب ويقتنع به ، والذي يسمع هذا ويراه عيانا سيعرف أن استخدام النظر والقياس في استنباط العلم حلا للمسائل العالقة واجب ممدوح ، فيستعمله وينفع به الناس حتى تستقر هذه الخصلة في شخصيته ؛ وهذا هو المراد .

رابعا : العملية : إن السنة النبوية تربي الناس تربية عملية ولا تكتفي بالكلمات ، بل تدعو دوما للعمل والتطبيق فلا علم بلا عمل ، ولا نصيحة بغير قدوة ، ولا تصور بغير تنفيذ ، إنها تربية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء ، أو إلى خلق فاضل ، أو إلى تعديل في السلوك نحو الأصلاح ، وقد حرص النبي ρ على هذه الخصلة من خلال تأسيسها وتعليمها لصحابته ، ففيها تجسيد للأخوة الإسلامية ، وتطبيق للتراحم والتواصل والتناصح بين أبناء المجتمع ، فيجب على العالم أن ينصح المتعلم ويوجهه لكل خير ، وواجب على كل أفراد المجتمع أن يأمرؤا بالمعروف وينهؤا عن المنكر (مسلم ، ٤٩) ، وأوضح النبي ρ أهمية التفاعل والمشاركة العملية في المجتمع الإسلامي وأمر بها (البخاري ، ١٢٤٠) ، والعمل في نظر الإسلام شرف وحق وواجب وحياة ، وهو سبب الجزاء ، ووسيلة التفاضل بين بني البشر ، ولإتقان الإنسان لعمله قيمة إيمانية ، والمنزلة التي وصل إليها العلماء في الإسلام لم يتحصلوا عليها لمجرد علمهم ؛ بل لما يترتب على هذا العلم من آثار حيث يكون العالم أقدر على القيام بمهام الاستخلاف في الأرض كما أرد الله له ، وخصلة العملية المطلوبة من المسلم هي السمة التي لا بد لها أن تركز عليها شخصيته ؛ لأن العمل بما علم هو المطلوب الواجب .

خامسا : التوازن : نظر المنهج التربوي النبوي للإنسان على أنه كل شامل لا بد من النهوض به بكل مكوناته لا بتخصيص لبعضها ، كما نظر إليه باعتباره فرد في مجتمع وهو لبنة مكونة له ، كما نظر إليه على اعتبار أنه هو الصانع لعناصر ما يحيطه من ماديات الحياة فلزم عندئذ أن تكون تربيته متنوعة شاملة متوازنة ، واستغلال الإنسان لطاقاته

جميعا بشكل متوازن يحدث توازنا في داخل النفس وفي واقع الحياة على حد سواء ، فالتوازن في نظر السنة النبوية يشمل كل نشاط الإنسان ، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته ، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحياة ، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية ، توازن بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فهو توازن في كل شيء في الحياة ، ثم توازن بين الجد والمرح ، والسعي والراحة ، فإذا بقى الإنسان ملتزما بجانب الجد فإن طاقته تضعف ، ويعلمنا رسول الله ﷺ كيف نستريح ونريح عقولنا وأجسادنا ، فقد ورد عن حنظلة الأسيدي وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال :لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ، قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا ، فقال رسول الله : (والذي نفسي بيده إن لو تدمون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)(مسلم ، ٢٧٥٠) ، فهذا هو المنهج التربوي النبوي في شحذ الشخصية وصلها لتتنز وتستوعب ما يقدم لها من علوم وأخلاق وتربية .

الخاتمة :

وهنا لا بد من تسجيل ما توصل إليه الباحث من استنتاجات ، وهي كما يأتي :

١. حرص النبي ﷺ على تأسيس منهجه التربوي على أسس متينة لتحديد صفات بارزة يجب أن يتميز بها تلاميذه .
٢. يتصف المنهج التربوي النبوي بمميزات تجعله أفضل أسلوب للتربية على مر العصور ، ومن أهم ميزاته أنه منهج رباني ، وما زال القائمون على التنظير التربوي ينهلون من علم السنة التي لا ينفد .
٣. أثبت المنهج التربوي النبوي جدارته حيث خرج جيلا قادرا على تحمل المسؤولية ، وأثبت التاريخ ذلك في القرون الثلاثة الأولى ومن بعدهم .
٤. لا يمكن إصلاح الشخصية الإنسانية بمعزل عن الوحي الإلهي .

المصادر :

القرآن الكريم

١. الأمدي . أبو الحسن سيد الدين (المتوفى: ٦٣١هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢. البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣. الترمذی . محمد بن عیسی بن سورة (ت٢٧٩هـ) ، الجامع الصحیح (سنن الترمذی) ، تحقیق: أحمد محمد شاکر وآخرون ، بیروت ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت.ط).
٤. الجشعمی . أ. د . مثنی علوان الجشعمی ، و م. شذی مثنی علوان الجشعمی ، آداب العالم والمتعلم في أحاديث الرسول ρ ، بحث منشور في مجلة جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم العلوم التربوية والنفسية ، العدد الخاص (٢) ، السنة الثانية ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٥. الجوهری . أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو ، بيروت - لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٦. ابن حجر . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، (د.ط) ١٣٧٩هـ.
٧. ابن حنبل . أحمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الله الإمام (ت٢٤١هـ) ، مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، القاهرة ، مؤسسة قرطبة ، (د.ت.ط)
٨. الزبيدي . السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: علي هاللي ، مراجعة : عبد الله العلابلي وعبد الستار أحمد فراج ، (الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت رقم : ١٦ ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
٩. الزنتاني . عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية ، ليبيا - تونس ، الدار العربية للكتب ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص ٢٤.
١٠. الشاطبي . إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ) ، الموافقات في أصول الشريعة ، شرحه وخرج أحاديثه : عبد الله دراز ، وضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، خرج آياته وفهرس مواضيعه : عبد السلام عبد الشافي محمد ، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١١. الشوكاني . الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، بيروت - لبنان ، دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢. الطيبي . الحسين بن محمد بن عبد الله (ت٧٤٣هـ) ، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي ، مطبعة الإرشاد - بغداد، دار إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٣. الغزالي . أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، إحياء علوم الدين ، وبهامشه تخريج الحافظ العراقي (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) ، بيروت ، دار المعرفة ، (د.ت.ط).
١٤. فرغل ، يحيى هاشم حسن ، معالم شخصية المسلم - التكوين الأساسي - المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (د.ط.ت).

۱۵. الفيومي . أحمد بن محمد بن علي المقرئ (٧٧٠هـ—) ، قاموس المصباح المنير ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥ م .
۱۶. ابن ماجه . محمد بن يزيد القزويني ، أبو عبد الله (ت ٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، بيروت ، دار الرسالة العلمية ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
۱۷. مسلم . الإمام مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١ هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٤ - ١٩٧٢م .
۱۸. ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط ٣ ، ١٤١٤هـ .
۱۹. النووي . يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة ١١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

(سوننه تی پیغه مبهه و پۆلی پهروه دهیی له بنیاتنانی که سایه تی ئیسلامی و کاریگه ری له سهه دامه زراوه کانی

پهروه ده / توژیینه وهیه کی بنه په تی)

دکتۆر په یشره و حه مه عه لی عه بدوللا

به پیوه به رایه تی گشتی په روه ده ی سلیمانی

پوخته

عه ره به کان پیش هاتنی ئایینی پیروزی ئیسلام له ژیانیکی تاریک و سته مکارانه دا ده ژیان. یه کتری ده گرتنه نامازه و هیرشیان لئ ده کرد، مووچه و سامانی یه کتریان به ناحق ده برد، کچه کانیان ده کوشته له ترسی شه ره مزاربوونه وه، سامانی یه کتریان به ناحق ده خوارد ، جارپک به سووی زۆر (ریبا) ، جارپک به په تکرده وهی مافه کان ، جارپک به زۆرداری و ده ستردیژی ، له گه ل ئه وه شدا، هه ندیک خه سلته تی نه جیب و پیاوه تی بیان هه بوو که خوای گه وره خه لکی له سه ری دروستکردبوون. ئه م بارودۆخه نیشانده ری که سایه تیبه کانیان بوو که له ئه نجامی ئه و سته مکاریانه ی پیمان ده کرا و ئه و تایبه تمه ندیبه تیکه لاهه پهروه ده بیانه ی که میراتی باوک و باپیرانیان بوون. پاشان ئایینی پیروزی ئیسلام هات و به فه زلی خوای گه وره خه لکی به ره و دینی راست و راسته قینه پینمایی کرد. یه که م ئاستهنگی پیغه مبهه (د.خ) دوا ی چه سپاندنی یه کتاپه رستی له دلئ هاوه له کانیدا بریتی بوو له پوو خساندنی که سایه تیبه مووسلمان و گوپینی بۆ ئه و خه سلته تانه ی که خوای گه وره خووشی ده ویت. له بهر ئه مه سوننه تی پیغه مبهه (د.خ) پر بووه وه له هه موو پینگاکانی پهروه ده کردن و شیوازه کانی که سایه تی پیگه یاندن و مه نه ه جی دروستکردنی که سایه تیبه ئیسلامی و گونجاندنیان له گه ل ئایینی پیروزی ئیسلام ، هاوه له کان ئه م خه سلته تانه یان وه رگرت، پاشان وه ک کانیاویک بۆ قوتابی و منداله کانیان رزا، هه تا بوو به میراتی نه وه له دوا ی نه وه . به م شیوه یه ئیسلام به سهه جیهاندا بالی کیشا بوو و بووه ئاوات و ئاره زووی هه ر که سیکی خاوه ن فیتری پاک و سالم.

ئەوێ ئەرۆ ئوممەتی ئیسلامی تووشی لاوازی و پووکانه وه و شهکه تبوونی کردوه، هیچی تر نییه جگه له دوورکه و تنه وهی له بهها نه جیبه کانی پیغه مبه ر (د.خ) ئەم لیکۆلینه وه به دلۆپیکه له ده ریای گه وره ی سوننه تدا، بۆ دوور و نزیک روون بکاته وه بۆ ئەوێ نیشان بدات که ژباننامه، رینماییه کان و کرداره کانی پیغه مبه ر (د.خ) چاره سه ری ته واوه بۆ ئەو هه موو نه خۆشییه قورسه ی که ئوممەت ئەرۆ تووشی بووه.

(The Prophetic Year and its Educational Role in Building Islamic Personality and its Impact on Educational Institutions / A Fundamental Study)

Dr. Paysharew Hamah Ali Abdullah

General Directorate of Education in Sulaymaniyah

Summary

The Arabs before Islam lived an unjust and dark life, raiding one another, considering each other's wealth as permissible to take, killing their daughters out of fear of shame, and consuming each other's wealth unjustly—sometimes through excessive usury, sometimes through denial, and sometimes through usurpation. Despite this, they possessed the natural nobility of human nature and the noble morals that Allah had instilled in people by their very creation. If this indicates anything, it demonstrates their personal characteristics that crystallized as a result of the injustice they experienced in their era and the complex educational traits they inherited from their ancestors

Then Islam came and guided people to the true religion by the grace of Allah. The first challenge the Prophet faced after establishing the oneness of Allah in the hearts of his companions was to refine the Muslim personality and replace it with characteristics that Allah loves—those very qualities upon which He had created them by nature. Therefore, the pure Prophetic tradition (Sunnah) became rich with all educational methods that would refine the companions' personalities to suit the great religion of Islam. They absorbed these teachings, which then flowed from them to their students and children, passing them down generation after generation until Islam dominated the inhabited world and became the aspiration of everyone with a sound natural disposition

What the Islamic nation suffers from today—weakness, decay, and frailty—is nothing but the result of its departure from the noble Prophetic values. This study is but a drop in the vast ocean of the great Sunnah, intended to demonstrate to both near and far that his biography, guidance, and actions are the effective remedy for the chronic illness that afflicts the nation today.